الفهم كمشكلة معرفية تجذر علاقة الفكر باللغة

إعـــــداد

د. سعيد محمد محمد السقا

أستاذ الفلسفة المعاصرة المساعد،

بقسم العلوم الاجتماعية– كلية التربية جامعة الإسكندرية

و القائم حالًيا بعمل عميد كلية التربية بجامعة مطروح .

DOI : 10.12816/0053085

مجلة الدراسات التربوية والانسانية . كلية التربية . جامعة دمنهور

المجلد العاشر – العدد الثالث – لسنة ٢٠١٨

DOI : 10.12816/0053085

الفهم كمشكلةتُجذر لعلاقة الفكر باللغة.

Understanding as a cognitive problem
. roots the relationship of thought in the language

د. سعيد محمد محمد السقا

DOI : 10.12816/0053085

الملخص

يتناول البحث الحدث الأساسي للوعي الإنساني، إنه الفهم الذي نكونه عن العلوم، والمعارف، والمعتقدات، والعلاقات الاجتماعية، والخارجية، عن السلوك، والقراءات؛ أي الفهم كمشكلة فلسفية في الأساس، لأنها تُمثل كيفية تصور المعرفة، أو المعنى، أو المنظور، أو طريقة التفكير، والأسلوب في التعبير، أنها عمق الفلسفة.

فمنذ " كانط " للآن والفكر الفلسفي يُجزم بأن ما يكونه العقل ليس الحقيقة أو العالم ؛ بل هي الصورة الذهنية التي يُكونها العقل بما يقدم إليه من معطيات، وبما له من عمليات عقلية استدلالية، وتحليلية، وتركيبية. لذا يتناول البحث تلك الصورة الذهنية، التي أقرها الفكر الفلسفي المعاصر، واتفق عليها أيضًا مفكري الحداثة، ومنظري ما بعد الحداثة.

مشكلة البحث:

- ما هو السبب الأساسي في اختلافات خلاصة الفهم التي يكونها عدد من الأفراد حول نفس الموضوع؟ و ما علاقة تعدد الفهم بالفكر و اللغة؟ و ما هي عوامل تنوع الفهم؟ وما هي أسباب اختلافه؟ وما هي علاقة الطبيعة الإنسانية بطبيعة الفهم؟
- وهل يمكن تجاوز مشكلة اختلاف الفهم وتعدده؟ ولماذا نحتاج التجاوز؟ وإذا أمكن التجاوز فكيف يمكن التجاوز؟ وهل من مخرج آخر غير الحل النسبي الذي قد يتوافق مع الطبيعة البشرية؟

خطة البحث:

تمهيد: تعريف " الفهم " بين المصطلح والمعنى والمفهوم.

المحور الأول: الفهم كمشكلة فلسفية.

المحور الثاني: الفهم كمحور أساسي للفكر الإنساني بين النسبية و الحيوية.

الخاتمة : أهم نتائج البحث.

DOI : 10.12816/0053085

THE ROLE OF UNDERSTANDING IN DETERMINING THE RELATIONSHIP OF THOUGHT IN LANGUAGE.

ABSTRACT:

Presented by Dr. Said Mohammed Al-Saqa, Assistant Professor of Contemporary Philosophy, Department of Social Sciences, Faculty of Education, Alexandria University. and He is currently the Dean of the Faculty of Education at Matruh University.

Research is the basic event of human consciousness; it is the understanding we have of science, knowledge, beliefs, social and external relations, behavior, and reading; that is, understanding as a philosophical problem in the first place because it represents how knowledge, , The style of expression, it is the depth of philosophy.

Since Kant's philosophy and philosophy, it is clear that what the mind is not is the truth or the world; it is the mental image that the mind possesses by its data, its cognitive, analytical, and synthetic processes. So the research deals with the mental image, which was approved by contemporary philosophical thought, and agreed upon also by the thinkers of modernity, and postmodernists.

Research problem:

What is the root cause of the differences in the compendium of understanding that a number of individuals have on the same subject? What is the relationship of multiple understanding with thought and language? What are the factors of diversity of understanding? What are the reasons for the difference? What is the relationship of human nature to the nature of understanding?

Is it possible to overcome the problem of differing understanding and multiplicity? Why do we need to bypass? If it is possible to bypass, how can it be overtaken? Is there any other way out than a relative solution that may be compatible with human nature?

Search Plan:

Introduction: Definition of "understanding" between the term, meaning and concept.

Axis 1: Understanding as a philosophical problem.

The second axis: understanding as the main axis of human thought between relativity and vitality.

Conclusion: The most important search results.

المقدمة

يتناول هذا البحث مشكلة " الفهم " ليس باعتبارها أهم المشكلات الفلسفية والإنسانية؛ بل باعتبارها أساس مجمل المشكلات الفلسفية والوجود الإنساني، وأهم ما يميز الإنساني عن باقي الموجودات، فقوام وجوده الوعي والإدراك لما حوله، وجميعها تُعد من عمليات العقل، وهذا البحث محاولة لتحليل علاقة الفهم بالعمليات العقلية، فنتعرف على كينونة الفهم الإنساني بالنسبة للعمليات العقلية، هل هو منها ؟ أم هو أهمها؟ أم هو نتاجها؟ أم هو كل هذا؟.

يتناول البحث الحدث الأساسي للوعي الإنساني، إنه الفهم الذي نكونه عن العلوم،والمعارف، والمعتقدات، والعلاقات الاجتماعية، والخارجية عن السلوك، والقراءات، وحتى الإيحاءات السينمائية؛ أي الفهم كمشكلة فلسفية في الأساس، حيث اختلفت وجهات نظر الفلاسفة حول مباحث الفلسفة الأساسية (كالوجود والقيم والمعرفة)؛لأنها تُمثل كيفية تصور المعرفة (الاستنباطية أو الاستدلالية)،أو المعنى،أو المنظور، أو طريقة التفكير، والأسلوب في التعبير، إنها عمق الفلسفة. فبعد ما حسم " كانط " مبحث نظرية المعرفة بقوله الفاصل فيها، حيث تعاون العقل مع الحواس في عملية تكوين المعرفة البشرية، وبذلك انتهى القول بإحدى الطريقتين التقليديتين (التجريبية والعقلية المثالية)، ليتحول البحث على يد " كانط " ومن بعده إلى معطيات العقل،وتحليل المعرفة الحالة فيه من خلال دراسة علاقة الفكر باللغة، ومنذ " كانط " إلى الآن الفكر الفلسفي يُجزم بأن ما يكونه العقل ليس الحقيقة أو العالم ؛ بل هي الصورة الذهنية التي يُكونها العقل بما يقدم إليه من معطيات، وبما له من عمليات عقلية استدلالية، وتحليلية، وتركيبية.

لذا يتناول البحث تلك الصورة الذهنية،التي أقرها الفكر الفلسفي المعاصر،واتفق عليها أيضًا مفكرو الحداثة،ومنظرو ما بعد الحداثة، بدليل التواجد القوى للنظريات

النقدية في معظم الأعمال الفلسفية المعاصرة، فكل صورة ذهنية حالية، أو قديمة، أو حتى متحولة أساسها الفهم الذي يُبنى عليه تصورنا للعالم.

أهمية البحث:

تنبع أهمية دراسة الفهم كمشكلة معرفيه لا تمس فقط معارف الإنسان وعلومه ووعيه وفكره فقط ؛ بل هي مشكلة حيوية الحياة،والتعاطي معها، من منطلق المعطيات المعاصرة للفكر البشرى، لنكتشف حقيقة التأثير الأساسي للفهم كعملية محورية، وتوغله في مجمل الأنشطة البشرية، بداية من اللغة،والفكر، مرورًا بالعادات، والعلاقات الاجتماعية، وصولًا للمجال الحضاري على المستوى الإنساني؛ لذا يُركز البحث على دور الفهم كأساس للوعي البشري، لنكشف عن تغلغل عملية الفهم بداية من الوجود الإنساني، والوجود الكوني كله، وارتباط كل هذا بنسبية المفاهيم والاستدلالات، وماذا لو كانت النسبية تشكل كل الوجود من حولنا.

لهذا يجب بحث تلك العملية الجوهرية؛ لندرك العلاقات المحورية المؤثرة فيها؛ لتكوين الفهم عامة، أو الصورة المعرفية العامة للعالم، ونظامه.

مشكلة البحث:

يتساءل البحث عن ماهية الفَهم ومكانته بالنسبة للوجود الإنساني، كيف يتكون الفهم؟وما أهم المجالات التي تتضمن معنى الفهم كعملية حيوية تمسّ الحياة بخصوصيتها وشموليتها؟ كمدى وعمق، تحليل وتركيب، فهم واستفهام، مساهمة في إبراز معنى من عدة معاني محتملة.

ما السبب الأساسي في اختلافات خلاصة الفهم التي يكونها عدد من الأفراد حول نفس الموضوع؟ حتى في حال ثبات معظم المتغيرات، وهل هذا هو السبب في تعدد نظريات النقد الأدبي، وتعايشها معًا، في الفكر الفلسفي المعاصر (الحداثة وما بعد الحداثة)؟.

١–ما علاقة تعدد الفهم بالفكر و اللغة؟

٢-ما عوامل تنوع الفهم؟ وما أسباب اختلافه؟

٣-ما علاقة الطبيعة الإنسانية بطبيعة الفهم؟

وهل يمكن تجاوز مشكلة اختلاف الفهم وتعدده؟ ولماذا نحتاج التجاوز؟ وإذا أمكن التجاوز فكيف يمكن التجاوز؟وهل من مخرج آخر غير الحل النسبي الذي قد يتوافق مع الطبيعة البشرية؟

البحث لن يكتفي بعرض وتحليل مشكلة الفهم فقط؛ بل الهدف الأساسي للبحث هو تكوين فهم أفضل لتعاملات الذات الإنسانية مع مشكلة لها كل هذا التأثير، وأيضًا نحاول أن نحصل على عملية استجلاء أو استيضاح، أو بمعنى أدق سنحاول التماس طريقة أكثر شمولية وموضوعية في التعامل مع الفهم كعملية طبيعية(وعلاقتها بالذاكرة الفورية والذاكرة كخبرة تراكمية)وكملكة إنسانية تُعد الجوهر،والأساس في كيفية تكوين مجمل معارفه، وعلومه وتطورهما.

وإذا ما تحقق لنا هذا الهدف سنتمكن من استثماره بفاعلية أفضل، سواء في تحليل التراث البشرى السابق؛ لنتعرف على كيفية تكوين مفاهيمه كتراث بشرى عام؛ لنستخلص منظورًا علميًا أفضل؛ لنتمكن به من تكوين معارف علمية جديدة، بوجهة شمولية متفتحة أكثر على الآخر، من أجل الوصول إلى أفضل فهم ممكن (أو الأكثر احتمالًا).

قد ينتج عن بحثنا هذا العثور على أحد المخارج المحتملة للفكر البشري، من أزمته المعاصرة التي خلفتها موجة ما بعد الحداثة، كعلاقة الفكر باللغة، وتنوع الاتجاهات الفكرية المعاصرة، والمُشكلة للحقبة المعرفية المعاصرة (مثل تقابل العقلانية مع المثالية،وكلاهما مع المادية التجريبية، ودخول تيارات الميتافيزيقا المعاصرة بجانب الواقعية، والموضوعية)، إننا نأمل أن يتوصل بحثنا هذا لموقف يمكننا من فهم كيفية التوافق النسبي، الذي به تتعايش كل الاتجاهات الفكرية الإنسانية المعاصرة منها،والمقبلة أيضًا.

منهج البحث: تحتم علينا طبيعة موضوع البحث (الفهم كمشكلة معرفية تجذر علاقة الفكر باللغة)، استخدام المنهج التحليلي، والتاريخي المُقارن، والسردي (للتعريفات والآراء والنظريات)، والاستدلالي، وأخيرًا التركيبي.

خطة البحث:

يتكون البحث من تمهيد ومحورين وخاتمة:

- التمهيد: تناولت فيه تعريف " الفهم " بين المصطلح والمعنى والمفهوم.
- المحور الأول: تناولت فيه الفهم كمشكلة فلسفية.
- المحور الثاني: تناولت فيه الفهم كمحور أساسي للفكر الإنساني بين النسبية و الحيوية.
- الخاتمة : احتوت على أهم نتائج البحث.

تمهيد:

تعريف الفَهم بين المعنى والمصطلح والمفهوم.

نجد المعنى المعجمي في القاموس العربي تحت كلمة " فَهّم "، تتحدد في حسن التصور الذهني، والإدراك العقلي، والعلم، فنجده كالتالي: (الفَهْم: المعنى علمه، وعرفه، واستوعبه وأدركه، وحسن تصور المعنى، وجودة استعداد الذهن للاستنباط). [i]

ويتفق هذا المعنى، مع معنى " الفهم Understanding" في القاموس الإنجليزي (الفهم هو إدراك معنى، أو فكرة، أي تعين معنى أو تفسير، أو معرفة، أو إدراك المقصود، ليكون على دراية تامة، أي القبض بوضوح الطابع، والطبيعة، أو الأبعاد الخفية، وهي العملية العقلية التي تُحدد التفسير الشخصي) [ii]

المصطلح: هي العملية العقلية التي تكون أفكارنا مباشرة أو بالاستنباط أو الاستدلال الاستقرائي–عن موضوع أو أشياء، أو عادات أو علاقات، أو أعراف وقوانين،أو عقائد، أو مصطلحات (المعاني الكلية)، أو أعمال فنية أو أدبية، أي امتلاك المعنى، والإدراك الشخصي.

المفهوم: هو امتلاك صورة ذهنية تُحدد مداركنا،ومعارفنا حول موضوع مُحدد بحسب معطياتنا، وخبرتنا الذاتية، أي أنه فهمنا للأمور، أو النصوص، أو الرموز، أو المواقف، أو القضايا والمشكلات، أو حتى فهمنا لمحيطنا الحيوي والعضوي والبيئي، بصورة شمولية متكاملة.

الخلاصة: الفهم ليس عملية بسيطة، بالرغم من فطريتها فينا،وهذا يعني عمومها لكافة العقول، ولكنها تظل رهينة بنسبية العقول نفسها، من حيث اختلافها النسبي في عملياتها العقلية، وقدرتها؛ من تحليل وتركيب واستنباط، واكتشاف علاقات وروابط، وتحديد الأولويات، وتداخلها، أو إهمالها، بحسب عوامل ذاتية، وخارجية عديدة.

وأخيرًا الفهم هو الرؤية الذاتية للأشياء، والعلاقات، والعادات، والعقائد، والعلوم والمعارف، وحتى الأشخاص، والأنظمة، والأفكار، والمشاعر، والدوافع، والكثير غيرها.

والمشكلة تكمن هنا في الجدل الدائري، ما بين نواتج عملية الفهم التي تعود لتنعكس من جديد كمُحددات لعمليات الفهم الجديدة، من خلال الخبرة التي تلعب دورًا مهمًا للفهم كالتفسير وإدراك معنى.

وقد يكون هذا هو السبب في كون الفهم عملية مبهمة، بالرغم من ظننا أنها عملية عقلية تكشف الغموض بامتلاك المعنى، أو القبض على الحقيقة – تلك الحقيقة التي كشف فكر الحداثة عن أنها وهم نختلقه، أو عن عدم قدرتنا على التعرف على كنه الحقيقة – أو بمعنى أدق عدم تكوين تصوراتنا الذهنية الذاتية عن الحقيقة.

المحور الأول: الفهم كمشكلة فلسفية.

جولة تاريخية حول المنظور الذاتي، وعرض أبعاد مشكلة الفهم الفلسفية.

منذ ظهور الإنسان والتفكير، ظهر الفهم باعتباره التعبير الأوحد عن الحياة والكون، وهو الذي تم توظيفه عند الفلاسفة والعلماء، على أنه الرؤية والمفهوم، وإذ بالمشكلة أن الجميع يزعمون أن فهمهم للكون هو الأصح على الإطلاق، من منطلق التمسك باليقين الذاتي، أو اعتمادًا على حجج، وأدلة منطقية، أو أخرى نسقية النتائج، أو الاعتماد على صحة تطبيق القياس؛ و لكن مع التراكم المعرفي، و ظهور الشك المعرفي، تبدد اليقين المطلق، من منطلق نقد الفكر السابق، أو تصحيح نظرية،أو تعديل قانون، أو انطلاقًا من مقدمات جديدة لمواجهة نفس الأسئلة،أو أسئلة أحدث.

والهدف من بحث هذا المحور هو إيضاح مدى العلاقة الجدلية بين الفهم وما ينتجه من مفاهيم من جهة، ومن جهة أخرى الفلسفة التي يُعرّفها الفلاسفة بأنها: محبة الحكمة، أو طلب الحكمة، بمعنى السعي نحو امتلاك الحكمة، في محاولة

للارتقاء بمعارفنا، من أجل بلوغ الكمال، الذي لا يتورع الفلاسفة أنفسهم من الاعتراف بقصور الإنسان عن بلوغ مرتبة الكمال، لقصور قدراته، ومع ذلك فعليه أن بسعي نحو هذا الكمال، بهدف الارتقاء نحوه.

فهل معنى هذا أن الفهم هو الفلسفة ذاتها (رؤية الفيلسوف) منظاره ومنظوره؟ أليس اختلاف الفهم الذاتي للفلاسفة والعلماء، هو السبب في اختلاف مفاهيمهم،وتفسيراتهم للعالم وقوانينه؟ أم هي اختلاف الظروف (البيئية والاجتماعية، والأخلاقية) والدوافع، والمقدمات (كمنطلقات)، أدت لتباين المفاهيم كنتائج للفهم المختلف؟ أيحق لنا استخلاص قاعدة تقول: إن الفهم المختلف لنفس الموضوعات هو المسئول عن اختلاف المفاهيم، والفلسفات،وتنوعها؟[iii].

قد يكون "سقراط" هو أول من تنبه لأهمية مشكلة الفهم، وخطورة أثارها، خلال مواجهته للسفسطائيين الذين كانوا يدركون تأثير اختلاف المفاهيم (النتائج)، تبعًا لاختلاف معطيات (منطلقات، ومقدمات) الفهم كعملية عقلية تنتج وتُبرر معارفنا، وإن كان كل منهما يتفق على نسبية معارفنا بحسب نسبية مفاهيمنا، إلا أنهما يختلفان من حيث الهدف،لأن هدف سقراط هو العودة للفهم الأصلي بالمقومات الفطرية للفهم، للوصول للحقيقة الكامنة فينا، ولكن السفسطائي يتعمد صناعة حقيقته (مفاهيمه) انطلاقًا من مقدماته التي يُحاصر بها الفهم، زاعمًا أنها مسلمات أو بديهيات.

ولتوضيح محورية اختلاف الفهم في إنتاج فلسفات مختلفة، فلننظر لتباين فلسفة "أفلاطون" المثالي، عن واقعية فلسفة "أرسطو"، الذي يُعرف الفلسفة بأنها علم الجوهر الكلى لكل ما هو واقعي، في حين يعرفها " أفلاطون" بأنها عالم الأفكار، حيث يقصد بالفكرة الأساس الشرطي للظاهرة.[iv]

نلاحظ هنا أن كليهما يساوي بين الفهم والفلسفة، ولكن عند أفلاطون تنزل الأفكار من أعلى لأسفل، وعند " أرسطو" تُستقى أفكار الفهم من الواقع.

أما " كانط " الذي تعمق أكثر في مشكلة الفهم – ولكن بمسميات مختلفة من خلال فلسفته النقدية– فنجده يعرف الفلسفة بأنها: "علم العلاقة بين كل المعارف، والغايات الجوهرية للعقل البشري"،[v] وكأنه بذلك يصف الطبيعة الشمولية للفهم كَمَلَكَة عقلية لإنتاج المعارف، وإصدار الحكم المعرفي.

ويؤكد " كانط " على الدور الإيجابي للعقل في عملية تحصيل المعرفة (الفهم)، من خلال شرحه للطريقة التصويرية، التي بها يُحصل العقل معارفه، حين يُحول العقل المعطيات الحسية إلى صور ذهنية، (Transcendental)، حيث يُكافح العقل ضد التجريبية، والتسليم العقلاني، معًا لصالح تحقيق غاياته الثقافية العظمى، أي تحقيق الفهم الشمولي.[vi]

وقد يكون حل مشكلة اختلاف فهم الفرد منا عن الآخر، موجود بين سطور معظم المفكرين، ولكنهم تجاوزوه دون أن يلاحظوه، فمن تعريف فلاسفة اليونان للفلسفة على أنها السعي نحو امتلاك الحكمة، واعترافهم واعتراف سابقيهم ولاحقيهم أيضًا، بقصور الفرد (أو العقل) الإنساني عن بلوغ مرحلة الحكمة، وهذا يوجب عليهم الانتباه هنا لضرورة تضافر الخبرات البشرية، وانفتاح الفرد (الذات) على الآخر؛ بل وقبول رأيه كرأي متمم للعديد من الآراء المتنوعة، والمتماثلة في نفس الوقت، حول نفس الموضوع.[vii]

ومع ظهور الشك المعرفي بعد تراكم المعارف، وظهور تعارضها (أو اختلافها) – في العصور الوسطى – كانت الفرصة متاحة جدًا للوصول للحل، من خلال طرح فكرة تعاون أو مزج الآراء من أجل بلوغ معرفة أشمل، وأكثر احتمالًا للصدق، وأقرب للحقيقة.

ولكن تحت تأثير المنطق الصوري على عقول مفكري العصور الوسطى، الذين استخدموا الجدل والنقد لتفنيد الآراء المخالفة لمبادئهم، وعملوا على إبراز تناقض الآراء بدلًا من النظر إليها على أنها تُمثل تنوعًا لوجهات النظر حول ذات الموضوع، ولم يلحظوا أن اختلاف المقدمات هو السبب في اختلاف النتائج التي

توصل إليها المختلفون، وأن كل تنوع واختلاف هو إثراء للمعرفة، وتفنيد للفاسد منها.

ولا نجد من يلاحظ أهمية تجميع ومزج كل هذا الخبرات البشرية المختلفة، لأن تجميعها يُمثل مجمل التراث البشرى، وخلاصة الخبرات البشرية، من بعد " ديفيد هيوم "[viii]، سوى " كانط " حيث يرى أن الطبيعة (الله) هي من تتكفل بتجميع تلك الخبرات لصالح تقدم البشرية، وإن كان السبق هنا لـ " كانط " إلا أنه كان يتحدث فقط على الانفتاح الرأسي للخبرات البشرية بعضها على بعض، بحيث يضاف السابق إلى اللاحق، وينصهر لتَرِثَهُ الأجيال البشرية، بدلًا من أن تبدأ من صفر الحضارة.[ix] ولكن ما نحتاجه نحن اليوم، بالإضافة للدمج الرأسي، هو الانفتاح، أو الدمج الأفقي (في نفس الزمان والمكان)، بأن نتفهم أن رأي الآخر هو متمم لرأيي، وليس معنى اختلافه أنه يتعارض مع رأيي؛ بل هو منطلق مختلف، يبدأ بمقدمات أخرى، وبمنظور (فهم) مغاير لمنظورنا، ليكشف عن جانب آخر، في موضوعنا المعرفي المشترك.

وبناء على الأمثلة السابقة يُمكننا استخلاص: أن الفهم هو فلسفة، لأنه طريقة استقبال، وتفاعل، وانفعال، لإنتاج معنى، أو لتكوين فهم، من خلال نسج علاقات الألفاظ، فتظهر كمعارف، أو أفكار، تؤسس للمواقف والعقائد والآراء، وأيضًا يُبنى عليها الأفعال والسلوك، والأخلاق. ثم تتحول جميعها، كُمحددات لأي فهم جديد، بعدما تظهر في تعاملاتنا كأسلوب حياة، أليس فهمنا هو المُحدد والمشكل الأساسي لما نحيا من حياة؟ أليس هو الحيوية العضوية، والحياة المعنوية، والشعورية، والعقلية؟.

علاقة الفهم بتطور الفكر البشرى وعلومه، وتقدمه الحضاري.

فمن المعلوم جيدًا، أن سبب تأخر العلوم التجريبية أو العملية، هو التأخر في تطبيق المنهج التجريبي، لتقاعس العقلية البشرية عن تطبيقه منذ الحضارة اليونانية، ودليل هذا ما توصلت إليه الحضارة الغربية المعاصرة– من بعد تطبيقها

للمنهج التجريبي في شتى العلوم – من تقدم هائل في شتى مجالات العلم، والتكنولوجيا، والتقنية، و الفضائية المعاصرة، وبحسب خطة طبيعية لتطور الثقافة البشرية.[x]

وهذا دليل كاف على أن اختلاف الفهم البشرى من عصر لعصر هو السبب في تحديد المستوى الحضاري، أو عدم تقدم البشرية حضاريًا، وهذا أيضًا ما يسمى الأيديولوجية الحاكمة للعصر، أو روح العصر، أو فلسفة العصر، حيث لكل عصر ما يُحدد منظور علمائه ومفكريه، كتوجه جمعي، ينطلق من مقدمات مُحددة حاكمة للفكر، والمنهج، والعلم، والعالم، ثم يأتي دور تراكم الخبرات البشرية، بما أنتجته من فهم جيد، ليتجاوز العقل الجمعي الأيديولوجية الحالية مرتقًيا لأيديولوجية جديدة، تواكب متطلبات العصر، وتلبيها.[xi]

أسباب تنوع الفهم واختلافه:

١ – اللغة من المرسل أو من المستقبل (ألفاظ وأساليب وصياغة)، فلا يجب أن ننظر للحوار (اللغة) على أنه يتم فهمه تمامًا، وبشكل كامل؛ ذلك لأن هناك عقلًا (من خلال فهمه) يتلقى من الآخر تفاصيل (رموز وألفاظ متفق عليها بين أبناء اللغة الواحدة)، فيظل الحوار غير مكتمل، يطوف حول المعنى ليقدم نفسه بالمقدمات الأولى، التي سيتم البناء عليها فيما بعد، وفيما بقى من الحوار، فقد يتم قبولها، أو تطويرها، أو تكرارها (بصياغات أخرى)، أو قد يتم تثبيتها، تمامًا كما يُفعل بالنغمة الموسيقية الرئيسية (مثل: دو، ري ، مي ، فا ...) في تنويعات المعزوفة الموسيقية.[xii]

وهنا يمسُ البحث أهم مشكلة فلسفية معاصرة، ألا وهي علاقة الفكر باللغة، وأيهما أسبق في الوجود، المشكلة التي كشف عنها "جاك دريدا" خلال تحليلها التفكيكي للتراث الغربي ليكشف عن تمركز ،وتسلط الميتافيزيقا عليه. – فخلال تحليل "دريدا" للمشكلة يقع تحت نفس تسلط الميتافيزيقا التي يزعم أنه يحاربها، أو أن خطابه التفكيكي جاء ليدمر أماكن تمركزها – فيتوصل بتفكيكه لمواطن تمركز

الميتافيزيقا إلى سبق اللغة على الفكر، وعلى كل موجود؛ ويستنتج استقلالية اللغة، ويستنتج بعدها فكرته عن الكتابة الآلية.[xiii]

ولكن البحث عن علاقة اللغة بالفكر هنا، يكشف عن مكمن قصور استنتاجات "دريدا" لأنه أغفل "العامل الوسيط" أو شرط التحويل من اللغة للفكر أو من الفكر للغة؛ فهنا يقع دور الفهم كعملية مهمة جدًا، وأساسية، فلولا الفهم ما ظهر معنى محتمل على حساب غياب معنى آخر ممكن أو محتمل.

فالفهم هنا يُعد مجموعة الشروط الترنسنتالية– بحسب ما أسماها "كانط" – فالرمز اللغوي (الكلمة) لا يتحدد معناها النسبي إلا بما يركب العقل من فهمه الذاتي للنص،[xiv]وغايات هذا الفهم، وأغراضه هي التي تجعله في النهاية يُرجح معنى محتمل أو ممكن على غيره، وقد يكون قابلا للتغيير،والتعديل دومًا بحسب تقدمنا في قراءة النص.

فمثلًا: كلمة (بيت) قد تعنى منزل، أو بيت شعر أو مأوى لحيوان، أو مبيت مؤقت أو عقار به وحدات سكنية، أو مسمى لمكان كبيت " لحم " أو بيت القصيد. وغيرها من الأمثلة العديدة، والمحتملة؛ ومثال آخر: كلمة (عين) تحتمل العين البشرية اليمنى أو اليسرى، أو عين العدو بالتجسس، أو عين الحسد، أو بئر الماء، أو عين المكان أي نفسه، أو غيرها من المعاني المحتملة.

إذن تحديد المعنى المحتمل لا يتوقف فقط على مكان الكلمة الإعرابي في الجملة– كما ترى البنيوية الغربية –، أو على ترتيبها وعلاقتها بما يسبقها، ويلحقها؛ بل بالفهم الذي تعمد وضعها دون غيرها ضمن هذا النسيج النحوي، وبهذه الصياغة[xv] ،و بهذا الأسلوب المُحدد ضمن الفهم السابق (المرسل)على الصياغة، والذي توسط عملية الانتقال من الفكر إلى اللغة، والذي يحتاج لفهم (القارئ أو المستقبل)– وهذا ما قصده "دلتاي" بكلمة "معايشة الخبرة" للوصول إلي معنى مماثل للمعنى الأول، أي لكي يتوصل من الكلمات لنفس المعاني التي تضمنها الفهم الأول، من خلال المعايشة، فيكشف عنها ضمن نفس السياق،

فيترجمها إلى معان تظهر أمام العقل بواسطة الفهم،[xvi]لا باللغة،وتركيباتها كما زعمت البنيوية.

٢ – الحالة النفسية لصاحب الفهم، وأفق توقعاته، واتجاهاته، ومواقفه.[xvii]ويمكن أن نُحدد السياق الذي يُقرأ من خلاله النص (أو تُفهم من خلاله معاني رسالة المتكلم) بأنه " كل ما يجيء به القارئ إلى النص، ويحدد استراتيجيات القراءة مقدمًا قبل تعامله مع النص، أي تعاليم القارئ".[xviii]

ويساعدنا في إدراك أهمية أفق المُستقبِل – في تكوين الفهم النسبي – الدراسة القيمة "الحقيقة والمنهج .Truth and Method" التي قدمها الألماني (هانز جيورججادامار(١*) . Hans – Georg Gadamar) لما تحتوي من مفهوم شامل، ومتطور لأفق القارئ، " فجادامار " يرى أن مهمة الفهم تتطلب امتلاك الأفق المناسب لنتمكن من رؤية ما نحن بصدد فهمه، من خلال أبعاده الحقيقية، وإذا لم تتوفر لدينا(مقومات) هذا الأفق المنحدر منه النص، فسنخطئ فهم ما كان على النص أن يقوله. [xix]

وعلى هذا يتضح ضرورة إلمام القارئ المعاصر (المُتلقي) بمفاهيم، وخلفيات، وملابسات السياق، والأفق الذي كُتب فيه النص (منطلقات الرسالة)، ولا يجب أن نطبق على نصوص التراث معايير أفقنا المعاصر؛ بل يجب أن نقرأها كما كانت تُقرأمن قبل معاصريها حتى لا نُحملها أكثر مما تقول، بمعني أنه يجب فهم الرسالة كما كان يفهمها مرسلها.

٣ – اختلال الحواس، واختلال الوسط البيئي، والمقصود باختلال الحواس أي وجود عوائق تؤثر على حواس المُستَقبل، مثل: التسرع أو التردد في تكوين الفهم، أو في إصدار الحكم المعرفي، أما اختلال الوسط البيئي فالمقصود به

(١*) هانز جيورججادامار ناقد ألماني معاصر (من نقاد نظرية التلقي)، تلميذ هايدجر، مؤلف كتاب: " الحقيقة والمنهج " عام ١٩٦٠م ،وترجم للإنجليزية عام ١٩٨٩م .

هو حدوث تشويش أو ضوضاء تُعيق، أو تؤثر على سلامة الرسالة (التي بين المرسل والمُتلقي)، أو تسلط أفكار ومعتقدات، وعادات اجتماعية.

وسواء اختلال الحواس كمعوق داخلي، أو اختلال الوسط البيئي كمعوق خارجي، فلكلاهما تأثير سلبي على عملية الفهم، فالأولى (اختلال الحواس): تعمل كغشاء أو حاجز يمنع العقل وقدراته من الوصول للفهم الصحيح الواضح؛ أما الثانية (اختلال الوسط البيئي) فهي تجعل العقل ينحرف عن الفهم الراجح، أو تصرفه لفهم مغاير للفهم المُحدد.[xx]

٤ – الخلل في الاستدلال أو الاستنباط، سواء بسبب المنهج، أو بسبب أيديولوجي.

فكما لكل موضوع علمي أو معرفي المنهج المناسب لاستخلاص معلومات عنه، كذلك موضوعات الفهم؛ ففهم موضوعات العواطف، والمشاعر والجماليات، لكل منها منهج مختلف، عما نحتاجه من مناهج لفهم الموضوعات السياسية، والتاريخية، والقانونية، والعقائدية، . . .هكذا لكل موضوع طريقة فهم، وأسس وخلفيات مختلفة.[xxi]

٥ – البيئة المحيطة والخبرات السابقة سواء الخاصة بالعلوم عامة، أو بمجمل تاريخ المعرفة البشرية. وهذا أيضًا ما كشفت عنه دراسة "جاك دريدا" المبكرة "الجراما طولوجيا"،لأسباب سوء الفهم، أو أسباب اختلاف المعنى، مما يُحاول التفكيكيون التخلص منه، من خلال إبرازهم ضرورة الالتزام فقط بما تقوله اللغة، دون التأثر بالظروف، والعوامل الخارجية، وهذا ما يوجزه "دريدا" في قوله: " لا يجب شرعًا الخروج عن (معنى أو مفهوم) النص منساقين لشيء آخر، سواء مرجع ... أو مدلول (معنى محدد أو مفهوم) ... فلا يوجد شيء خارج النص "[xxii].

٦ – تَدخُل مجمل المنافع، والانتماءات، والاهتمامات الخاصة، وتقاطعها مع التوجهات العامة، في عملية تكوين الفهم، وهذا ما يحاول مفكرو الحداثة

الاستفادة منه، من خلال تحليلاتهم للفكر البشرى، في موضوع الكتابة، واللغة التي يُعبر بها عن فكرهم أو مفاهيمهم.[xxiii] وهذا ما يُفسر سبب تنوع المعتقدات الدينية، بحسب تنوع البشر ،وانتمائهم.

٧ – الاعتقاد بصواب الموقف والاستنتاج، والتمسك به، من منطلق تمسك العقل، بما ينتجه بنفسه منذ بداية البشرية، ذلك لأن أفضل جزء في اللغة (المعنى كُمحدد للفهم والمفهوم) هو ما " يُشتق من انعكاس عمليات العقل نفسه، إنها تتخلق عن طريق التخصيص التطوعي لرموز ثابتة للعمليات الداخلية، كالتخيل، ونتائجها ". [xxiv]

٨ – إساءة الفهم، أو نقص متطلباته، أو التحيز والخضوع لتأثيرات معطيات مُحددة دون غيرها(كالأيديولوجيات، أو الدوافع، أو المصالح الشخصية)، وهذا ما حاول الشكليون الروس مكافحته من خلال محاولة تحرير الكلمة من أغلال الاتجاهات الفلسفية، والدينية، التي كانت تتملك الرمزيين، [xxv]وهذا هو السبب في اختلاف المقاربات الأدبية لنفس النص، بدليل قول رواد الحداثة عن تلك المقاربات: إنها جميعها مقبولة، وكل منها تصوب الأخرى.[xxvi]

٩ – أسباب اختلاف الفهم الأساسية، وهي السبب في التصادم، وعدم تلاقى الآراء المختلفة للأفراد، و التي يمكن استنتاجها مما سبق، و التي أهمها ما يلي:

أ – اختلاف بؤرة الفهم وعمقه.

ب – اختلاف المدى بحسب التوسع المعرفي حول الموضوع.

جـ – اختلاف المجال بحسب اهتمامات الشخص الواحد.

د – اختلاف البيئة الطبيعية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية.

هـ – اختلاف سُبل التربية، والتنشئة.

١٠- خصائص الفَهم:

١- **النسقية:** بحيث نجد تسلسل علاقة الأجزاء المكونة للكل، من خلال الاعتماد المتبادل بين السابق واللاحق منها، بمعنى الواحدة تؤدى إلى الأخرى، في علاقة ضرورية (إما منطقية، أو ترابطية، أو تركيبية، أو نواتج تحليلية، أو قبول بسبب التواجد بالواقع، أو الخبرات السابقة، أو حتى علاقة سببية).

٢- **الشمولية:** من حيث الارتباط، والترابط بين جميع عوامله، ومقدماته، كنسيج كلى ناتج عن علاقات (أو تأثيرات) متناغمة (شبه حيوية)؛ لأنها تساهم دومًا في تشكيل مفاهيم عملية الفهم، بناء على شمولية علاقات عناصرها المتداخلة، مع ارتباطها بشكل شمولي، أشمل بعلاقات مع كل مفاهيم العقل السابقة، وستدخل مجددًا في شراكات عديدة، مع كل عملية فهم مستجدة أو لاحقة.

٣-**التحويل:** من صورة لصورة، أي من فهم سابق، إلى فهم حالي، أو لاحق أوضح وبمدى أوسع، وقد يكون التحويل فوري لورود معطى جديد يضاف لمعطيات عملية الفهم، فيتحول ناتج العملية من مفهوم لآخر، وقد يحدث التحويل خلال فترة طويلة، بسبب التجديد في علوم الإنسان ومعارفه، أو التغيير في محيط بيئي (اجتماعي، طبيعي، سياسي، اقتصادي، ثقافي)، أو داخلي (نفسي أو عقائدي) . . . على مدى بعيد، وقد يكون التحويل الفوري أكثر حدوثًا من التحويل خلال الفترات الطويلة.

٤- **قابلية التغيير والتجديد والتوسع،** لأن الفهم كعملية عقلية حيوية، ترتبط بعوامل داخلية وخارجية، عديدة، تعتمد عليها في تحديد نتاجها النهائي (المفاهيم)، ومن تغير علاقات هذه العوامل كمعطيات لعملية الفهم، ينتج عنها باستمرار القابلية للتغيير، والتحديث، واتساع المدى.

٥- **النسبية:** فالفهم ليس مطلقا بالرغم من توهم العقل بثقة زائدة أن مفاهيمه مطلقة، ولكنه يدرك تمامًا أنها نسبية لكونها ذاتية، ومن الاختلاف بين الذوات هنا تصبح مفاهيمنا أكثر احتمالًا، لأنها ذاتية أكثر من كونها عامة، ومن جهة أخرى تكون نسبية الفهم والمفاهيم ناتجة من نسبية الإنسان، وقصور إمكانياته المحدودة غير المطلقة.

٦- **الذاتية (أو توهم الصدق):** وسبب ذلك راجع لكون العقل لا يثق بغير مفاهيمه وقوانينه الصادرة عنه، ومصدر تلك الثقة قربها منه، وإنتاجه لها، وتجليها أمامه مباشرة، فلا مجال لتلوثها بأي شك، لأن الشك والنقد فقط ، لما يأتي من الخارج، فقد يشك العقل فيه قبل قبوله، أو لقبوله داخل نطاق عملية الفهم. (كنظرية جديدة غامضة، أو عملية حسابية معقدة، أو حتى خبر عن وقائع تاريخية أو أحداث واقعية).

٧- **المنطقية** (من حيث الخضوع لقوانين المنطق الصوري). فقد يكون من أفضل ما قدمه " أرسطو" للبشرية تعريفه للمنطق على أنه قوانين الفكر (أو آلة الفكر)؛ لأنه بهذا كشف عن قوانين تُعد موروثة للجنس البشرى، لأن العقل ما زال يستخدم ما كشف عنه " أرسطو" من قوانين بسيطة يخضع لها العقل أثناء عمليه الفهم، بالرغم من تفنيد فلاسفة العصور الوسطى، والحديثة للمنطق الصوري، ونقده ونقضه. إلا أن الفهم كعملية قد تكون الملجأ الأخير للمنطق الصوري، لاعتماد العقل في عملية الفهم على قوانين المنطق، حيث الاستدلال، والربط العلمي، وإطلاق القياس، والترتيب بين عناصر وعلاقات المفهوم الواحد من جهة، والمفاهيم، وبعضها من جهة أخرى.[xxvii]

التقليد: بحيث يقلد الفرد أي إنسان آخر، سواء في المواقف، أو ردود الأفعال، أو الأسلوب، وهذا ينعكس أيضًا على فهمه، بحيث يُكون العقل مفاهيم متقاربة ناتجة عن الظروف المتشابهة، وعن تقليدنا للآخرين في تكوين نفس المفاهيم – تقريبا –

التي تتضح أكثر في موضوعات معينة كالأدب، والعلاقات الاجتماعية، والعادات الإنسانية.[xxviii]

والمثال على ذلك: ما يكونه الطلاب عندما يشرح لهم مُعلمهم قصيدة، أو نظرية علمية، فهو هنا يبذل جهده من أجل خلق، أو توليد نفس المفاهيم الموجودة بعقله، داحل عقول طلابه، وكأنه ينشُد منهم أن يـُنتجوا نسخ مطابقة لفكره؛ فيقلده الطلاب في إنتاج التصورات الذهنية ذاتها.

١٠**علاقة الفهم باللغة،** أيهما أسبق في تشكيل المعنى؟، فالمشكلة ليست بين الفكر واللغة بقدر ما هي بين الفهم واللغة، لأن الفكر هو نتاج عملية الفهم، وهي نفس المشكلة التي انتقد فيها " سارتر " " هوسرل " فيما عُوفت في الفكر الفلسفي المعاصر بمأزق اللغة، حيث انتقد " سارتر : الفينومينولوجيا "في عجزها عن تحديد أيهما أسبق في الوجود ، المعنى أم اللغة؟، أم الوعي؟، ونحن هنا نحاول تقديم حل لتلك المشكلة، يتلخص في أن الفهم – أو الوعي عند " هوسرل – كعملية عقلية حين ينسج مفاهيمه، فأنه يُنتج في نفس اللحظة صياغته الفكرية (كمعنى مفهومي أو صورة ذهنية)، وصياغته اللغوية (كمصطلح لغوي يعبر عن المعنى المفهوم) .

ودليل صحة هذا الحل، أن العقل بعملية الفهم يستخلص المعاني، كمعاني مباشرة – سواء داخل أو خارج إطار اللغة، أي من النصوص أو الاستخدام اللغوي عامة، أو من المعطيات الحسية والعمليات العقلية الأخرى –ثم يـُودعها في الصياغات اللغوية، لينتشر المعنى كمفهوم،ويـُعبر عنه في باقي الأذهان – كاستحضار للمعاني – دون الرجوع لاستنتاجها من جديد.

وهنا يجب تناول علاقة الفكر باللغة، فيتضح من التحليل لتلك المشكلة التي تشغل الفكر الفلسفي المعاصر، فالعلاقة هنا بين الفهم واللغة، مرورًا بعلاقة الفهم بالمنطق (قوانين الفكر) تلك العلاقة الجدلية، الدائرية بين الفكر وقوانينه، فالقوانين الفكرية تستخلص من تحليل العلاقات التي بحسب نظامها انتظمت الأفكار،

والفكر يكشف عن مفهومه من خلال مراجعة انتظامه بالقوانين المنظمة له، والفهم هو ما يجعل المعقول منطقيا ومعقولا؛ ومن هذا يتضح أن علاقة الفكر باللغة يتوسطها الفهم، وتُحددها علاقة الفهم بالفكر، وهي نفس العلاقة الجدلية للدوائر الهيرمونطيقية، التي بين الفكر أو المعنى واللغة.

المحور الثاني: الفهم كمحور أساسي للفكر الإنساني بين النسبية و الحيوية.

الفهم هو الفلسفة، وكل فهم هو فلسفة،وكل فلسفة هي فهم، لأن الفارق هو بين فلسفة الشخص العادي، وبين فلسفة الفيلسوف، وهو نفس الفرق بين أن نفهم معاني ومعارف متعددة، بطريقة غير مقصودة، وعشوائية، وبين أن نفهم نفس المعاني والمعارف، ونحن نُدرك قوانين وإستراتيجيات تكوين فهمنا لها، وإدراكنا لطبيعة وخصائص الفهم، كعملية حيوية تحدد مفاهيمنا التي نحيا بها، ويتحدد بها وجودنا.

١١- أهم وأبرز مجالات تعمق وتوغل الفهم في الحياة الإنسانية.

لقد كشف بحثنا علاقة الفهم باللغة والفكر، وكيفية توليد المعنى النسبي، عن مخرج للفكر الغربي، من مأزق الحداثة المتمثل في تساؤل ما بعد الحداثة، الذي أودى بالبشرية، وبالإرادة الإنسانية، وأحل اللغة، واللامركزية، محل الإنسانية، نعم المخرج هو العودة لوعي الإنسانية بعقلية جديدة، تلائم طموح البشرية، وعولمة حضارتها الحديثة.

إذا كان المعنى هو قوام الفكر، وعمليات العقل، فمن أين نأتي بالمعنى؟ وما العملية المسئولة عن تكوينه؟

أليس الفهم – كعملية عقلية – هو المسئول عن إظهار المعنى؟ في أي مجال وفي أي نشاط ذهني؟، إذًا لا فكر بدون إدراك للمعنى، ولا معنى يتكون بدون فهم يُنتجه ويمتلكه.

وهنا ينبغي الانتباه إلى أن الإدراك لا يأتي بعد العنى؛ بل هو الذي يُوجد المعنى، ويبرزه للوجود، نعم الفهم يأتي بالمعنى و يختلقه، إذ لا وجود للمعنى قبل

الفهم كعملية تكوين، و إدراك، و إظهار للمعنى، الذي يتضح للعقل كصور ذهنية، يستخدمها فكره.

واللغة كذلك لا تقوم بدون الفهم كعملية عقلية، سواء للمرسل في خطابه حين صياغته، وأسلوبه يحتاج لفهم لكي يُحدد صياغته، وليضمن صدق تعبيره عما يقصده، أو للُمستقبل الذي لا يُحدد معنى ما يستقبله إلا بالفهم كعملية عقلية، ففي الحالتين (الاستقبال،والإرسال) يقوم الفهم بالتحويل من اللغة إلى الفهم،أو من الفهم إلى اللغة. وهذا ما قصده " كانط " بالذات " الترنسنتنتالية "، وهو ما يصفه " فرديناندسوسير " حيث العلاقة بين المعنى واللغة هي علاقة عشوائية، بمعنى اصطلاحية (بين أبناء اللغة الواحدة).[xxix] لأن اللغة تعبر عن معنى مراوغ متذبذب، يعكس حالة فهم نسبي، يتطور باستمرار صوب التكون، الذي لا يكتمل أبدًا؛ بل يؤدي إلى دوائر فهم أشمل، وأكثر تعقيدًا، وتركيبًا؛ لمواكبة حيوية الحياة، التي نحتاج لفهمها فهمًا يواكب تطور الحياة، وصيرورتها.

وحتى في مجال الأدب، فتنوع المقاربات، وحتى الإبداعات المختلفة، أساسها الفهم، الذي قد ينحصر دوره من منظور فكر الحداثة، في مجرد استثماره للمعنى اللغوي، وانتقاء الرموز اللغوية، خلال التركيبات اللغوية التي تساعد في إبراز معناه بفهمه الخاص، سوء كمتلقٍ أو ككاتب جديد للنص.[xxx]

وبالمثل نجد الدور الأساسي للفهم يتخلل ذات الوجود الإنساني، فهو الذي يهبه وجوده بالوعي (بداية من الحوار الذاتي بين النفس والشخصية، إلى النسق الاجتماعي، والنظم السياسة، ووسائل التربية، ومناهج التعليم....) ويُحدده من خلال التنوع اللانهائي لتنسيقاته، وسبله المتنوعة.

فهل هناك مجال واحد من مجالات النشاط الإنساني لا يُحدده، أو يُقومه، أو يُقيمه الفهم الإنساني؟ بالتأكيد لا؛ لأنه حتى على مستوى الأذواق، والمشاعر، والأحاسيس، والموضة في الأزياء والديكورات، والمعتقدات، والظن، والفرض، والاجتهاد، جميعها يضمنها،ويتضمنها الفهم من خلال ثقة العقل بفكره،وبفهمه –

فلا يرى ولا يقنع بغيرها –حتى على مستوى اللغة التي تُعد مثلًا على علاقة المشاركة مع الآخر (سوء المرسل / المستقبل، أم النص) نجد العقل دومًا يُحبذ معناه على ما سواه.[xxxi]

١٢- علاقة نسبية الفهم الذاتي بإنتاج الفكر.

إن ما تقدمه الفلسفة النسبية ما هو إلا توضيح صورة اختلاف الفهم، أو فلنقل (نسبية الفهم) مثلما قال "بروتاجوراس"، الإنسان مقياس كل شيء، وقول " أفلاطون " إن ما يبدو لي هو كذلك كما يبدو لي، وما يبدو لك هو أيضًا كما يبدو لك، وحتى ما حاول "جالليو" شرحه لنسبية حركة الأرض، أي بمعنى أنها تتحرك بالنسبة للمشاهد في المرصد، وهي ثابتة لمن يقف عليها، ولا يشعر بحركتها التي ترصدها الأجهزة الفلكية.

وكل ما فعله "أينشتاين" هو تقديم مفهوم جديد لما جمعه، ودمجه، من نصوص الفلاسفة السابقين، وأفكارهم عن النسبية، فمكنه هذا المفهوم الجديد من وضع نظريته العامة، والخاصة في الفيزياء؛ وبهذا أعاد اكتشاف الفهم الجديد لعلاقة الزمان بالمكان، و" الزمكانية " كأساس لنسبية العلم والعالم.

وقد يكون أهم ما تؤكده النظرية النسبية، إنما هي نسبية الفهم كعملية عقلية، من خلال موجز لأهم أفكارها، ونتائجها التالية:

١-١ – رفض الثقة بالتجريبية الحسية، لأنها تنظر للأجسام والحوادث من حيث وجودها المكاني فقط، دون إدراكها للعلاقة الوثيقة بين المكان والزمان.

٢-أكدت النسبية على عدم وجود أي مفهوم مطلق، فحتى الزمان،والمكان نسبيان.

٣- أكدت نظرية " أينشتاين " نسبية الحواس، ومعطيات الحس، ونسبية النظريات العلمية المُفسرة للعالم، بالكشف عن علاقة التأثير المتبادلة بين الحس، وتلك النظريات.

٤- ترى الفلسفة النسبية أن جميع وجهات النظر شرعية، وصحيحة، ومتساوية؛ لأن جميعها نسبية بحسب الفرد، فليس هناك من يملك (أو حتى يمكن أن يدعى) المنهج الصحيح المطلق، أو الحقيقة المطلقة.[xxxii]

الفهم كعملية عقلية وحيدة تمكننا من إدراك العالم بكل مكوناته، فالعقل هو النافذة الوحيدة في مقابل لا تناهى المعطيات المُتاحة للفهم والتعقل.

وفي هذا المعنى يقول "فوراستييه": "إن معرفة العالم المحسوس تنصب على واقع متغير، ومتعدد، وغاية في التعقيد، ومع ذلك فلا سبيل إلى استقباله إلا على قناة استقبال واحدة، وجهاز مُستقبل واحد، هو العقل البشري"[xxxiii].

١٠- معوقات الفهم المطلق أو الأوحد:

١ – التنوع الموجود بين البشر ونسبية منظوراتهم، واهتماماتهم.

٢ – جمود تأثير المُثيرات (البيئية، والفكرية، والمعنوية)على الإطلاق، كأيقونات ستظل ثابتة على شيء واحد.

٣ – نسبية الإنسان وإمكانياته، وقدراته، وأدواته، وطموحاته.

٤ – عدم ثبات موضوعات الفهم، من حيث التجديد، والتطور الدائم لموضوعاته.

٥ – اختلاف استخدامات موضوعات الفهم، والمطالب العديدة، والمتنوعة.

٦ – معوقات تحقيق الثراء المطلوب للفهم، مثل: معارضة مرونة صدور معاني ومعارف مختلفة، من نفس الرموز، بحسب دخولها في علاقات جديدة، أو الكشف عن أشكال جديدة محتملة للتعبير، والاستبطان.

٧ – عدم الانفتاح على (أو رفض من منطلق تقليدي) قبول فكرة التفاهم المشترك والتقريبي، بين أفراد نفس البيئة، لنقلل من هوة التنوع أو الاختلافات، ليتم الدمج والتقريب أكثر وأكثر حتى نصل إلى المستوى الإنساني.

كيفية الانتقال بالفهم من الذاتية النسبية إلى الحيوية.

١١- ضرورة الانفتاح على الآخر، من أجل الانتقال من المنظور الذاتي إلى المنظور الإنساني الحيوي، وهذا يتفق تمامًا مع ما توصل إليه، فؤاد زكريا حيث يقول:" كان العامل الأساسي المُمهد لهذا التقدم، هو التخلص من تزمت العقلية الإقطاعية، والاعتراف بمبدأ التسامح الفكري، فمنذ اللحظة التي أدرك فيها المجتمع أن الشك في المعرفة، وفي الآراء السائدة ليس بجريمة، وإنما هو دليل على حيوية الفكر، وقد يكون هو الخطوة الأولى نحو الوصول إلى كشف جديد، منذ هذه اللحظة أصبح التقدم مسألة وقت فحسب، ولكن لا بد من الاعتراف بحق الغير في إبداء آراء مخالفة، ولإدراك قيمة المعارضة الفكرية في النهوض بالمعرفة البشرية في كافة مجالاتها – لذلك لابد من التخلص من بقايا العقلية الإقطاعية بما تفترضه من مجتمع نمطي موحد التفكير. "[xxxiv]

ولتحقيق هذا يجب علينا مراعاة ما يلي:

١ – ضرورة شمولية وكلية الصورة الذهنية (عن العالم والكون) التي انتهى إليها الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر، بالتوفيق بين الرؤى المختلفة، والمتنوعة، والمتقابلة، بالقبول النسبي أو التقريبي.[xxxv]

ويتضح ذلك من تأكيد " كانط " على الدور الإيجابي للعقل(الفهم)، في عملية تحصيل المعرفة، من خلال شرحه للطريقة التصويرية، التي بها يُحصل العقل معارفه، حين يُحول العقل المعطيات الحسية إلى صور ذهنية، (Transcendental)، حيثُ يُكافح العقل ضد التجريبية، والتسليم العقلاني، معًا لصالح تحقيق غاياته الثقافية العظمى، أي تحقيق الفهم الشمولي.[xxxvi]

٢ – الانفتاح على الممكن والمحتمل، وغير النهائي (من منطلق النسبية) لتكتمل الرؤى حول نفس موضوع الفهم النسبي، وذلك من خلال متابعة اتجاه محاربة الفهم الذاتي، الذي بدأه فكر الحداثة في مجال النقد الأدبي، من خلال قولهم بموت المؤلف وانتفاء القصدية، وقبول جميع المقاربات لنفس النص، فكل مقاربة

تأتى بدلالات قبولها واحتمال النص لها، فكل منها لا ينفي الآخر بقدر ما يُغنى النص ويُضيئه، مما يُثرى معارفنا حول نفس الموضوع بطريقة أكثر شمولية من المعنى الذاتي.[xxxvii]

٣ – ويضيف "جادامار" ضرورة أخرى لابد من توفرها لأفق القارئ المعاصر،وهى أن يكون أفقه متحركًا مُتجددًا يواكب باستمرار الحركة التاريخية من جهة (تطوير خبراته، وتحديثها)، ومن جهة أخرى منفتحًا ليستوعب ثقافة الآخر (وخبراته)، وآفاق معاصريه، وسابقيه (تعدد الخبرات المتباينة)،فلا يجب أن يكون الأفق ثابتًا أو مغلقًا .[xxxviii]

ودور أفق القارئ في تحديد المعنى، وإعادة كتابة النص، نجده في حديث "جادامر" عن الأفق بما يؤكد أهميته كوسط لاستقبال القارئ للنص وإنتاج المعنى، بل وأهميته ضمنًا في التحديد المسبق للمعنى لأن الأفق صار هو الإطار الذي سيُقرأ من خلاله النص، وهو الذي سيحدد طبيعة القراءات بحسب اختلافه، وتعدده، ولا نهائيته، فلا نملك قراءة صحيحة نهائية مادام الأفق متغيرًا، ومتجددًا،ومنفتحاً، على كل الاحتمالات، كتكوينه الثقافي غير المغلق.

وإذا أقمنا علاقة بين أفق الحاضر وأفق الماضي كما يذهب "جادامر" سيفتح المجال لحدوث معان جديدة متعددة لنصوص تراثية تُقرأ بأفق معاصر، مما لا يغلق الباب أمام لانهائية المعاني المحتملة.[xxxix]

١٢– نماذج تؤيد أو تدعو للمنظور الحيوي.

وسنذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ – **ديفيد هيوم– Davidhume (١٧١١ – ١٧٧٦م)**" الذي يرى أن الموضوعات التي يتناولها العقل بالفهم لابد أن تأتى على أحد وجهين لا ثالث لهم : الأول تكون أفكاره مُتصلة ببعضها (فكرة نستنتج منها فكرة، وترتبط بها كالمعطيات الرياضية، وما نستنتجه منها يكون مشتقا من المقدمات كالعلوم الرياضية)، والوجه الثاني تكون أفكاره متصلة بأمر من أمور الواقع (فكرة

صدرها انطباع حسي متعلق بأمر أو شيء خارجي أو باطني كالعلوم الطبيعية) ' فعلى ذلك يتم تقسيم المعرفة إلى يقينية (وهي ما تعبر عنها القضايا الرياضية التي تُشتق أفكارها من بعضها)، و أخرى احتمالية (وهي التي تُعبر قضاياها عن الخبرة الحسية وهي تحتمل الخطأ حتى و إن رجحنا فيها الصواب).[xl]

على ذلك فالقضايا الرياضية يُستنتج صدقها بقوانين الفكر حيث تُشتق النتيجة من المقدمات، فيستحيل تصور عكسها، فلا يقبل الفكر مثلاً تصور مثلث له أربعة أضلاع؛ لأن المقدمة مثلث تتضمن أن لهذا الشكل ثلاثة أضلاع فقط ؛فلا يصح تصوره بغير تلك الأضلاع الثلاثة ، وإلا سيكون الشكل غير ذلك، ولكن في مجال القضايا التي تُعبر عن وقائع الطبيعة فلا استحالة في أن نتصور عكسها، لأن احتمال شروق الشمس غداً يتساوى مع احتمال أن لا تشرق الشمس غداً ، لهذا تُعد المعرفة بمثل تلك القضايا معرفة احتمالية يتوقف صدقها، وكذبها على حدوث الوقائع فعلًياً ، عند وقوعها كمتغيرات تكون قد صدقت، و قبلها يكون احتمال صدقها أقرب إلى الصواب، ولكن محتمل أن لا تقع على نفس منوال حدوثها سابقاً ، و لا نملك إقامة البرهان العقلي على غير ذلك، وإلا وقعنا في تناقض.[xli]

وهذا يعني أن عملية فهم الموضوعات غير العلمية (التي تتصف بالدقة كالرياضيات و الهندسة) يجب أن تنفتح على الممكن، و المتغير بحسب حيوية وتغير الكون، وتصوراتنا عنه.

٢ –يرى "فيلهلم دلتاي–w.Dilthey(١٨٣٣م – ١٩١١م)" أن مشكلة الفهم هي مشكلة استعادة ذلك الوعي بتاريخية وجودنا الخاص، الذي ضاع في مقولات سكونية العلم. فهذه الوحدات من المعنى تتطلب سياقاً يضم الماضي، و الحاضر، ويضم في نسيجه التوقعات المستقبلية، إنها زمانية في صميمها و مكتملة، و لا يمكن فهمها إلا خلال تلك الأبعاد الزمانية، فلا تُفهم إلا تاريخًيا.[xlii]

و يُضيف "دلتاي" :" أننا في حقيقة الأمر نُدرك، ونُفكر، ونفهم في ضوء الماضي، والحاضر، والمستقبل، ووفقًا لمشاعرنا، ومطالبنا، والتزاماتنا الأخلاقية.

ومن الواضح إذن أننا لابد أن نعود إلى الخبرة المعيشة، وإلى الوحدات ذات المعنى كما هي موجودة في الخبرة المعيشة".[xliii]

الفهم عند "دلتاي" لا يعني التصور العقلي للموضوع المُدرك؛ بل هو عملية فَهم عقل لعقل شخص آخر، وأن الفَهم هو تلك اللحظة الخاصة حين الحياة تفهم حياة، أي أنه العملية الذهنية التي بها نُدرك الإنسانية الحية (ككل شمولي حيوي)، و يفتح لنا عالم الأشخاص الفرديين، ويُطلعنا أيضًا على الاحتمالات الكامنة في طبيعتنا، وبهذا لا يكون الفهم مجرد فعل فكري (فحسب)؛ بل هو انتقال وإعادة معايشة العالم كما يجده شخص آخر في خبرته المعيشة، و ليس الفهم عملية مُقارنة تأملية واعية؛ بل الفهم عملية تفكير صامت (إدراك مباشر) يتم فيها انتقال المرء بطريقةٍ سابقة على التأمل إلى أعماق شخص آخر، إن المرء يُعيد اكتشاف ذاته في الشخص الآخر.[xliv]

وأخيرًا يرى "دلتاي" أن الفهم كعملية لا تكتمل إلا في إطار الدائرة التأويلية، بمعنى أن الكل يأخذ دلالته من الأجزاء، وبالتالي الأجزاء لا يمكن فهمها إلا في سياق الكل؛ إذًا الفهم يظفر بالمعنى خلال عملية التفاعل الجوهري المتبادل بين الكل و الأجزاء.[xlv]

إذن الفهم عند "دلتاي" يستوجب حيوية الحياة بأبعادها الزمانية (من الماضي الذي نستحضره في الحاضر لنتمكن من التوقع بالمستقبل بالانفتاح عليه، و استشراقه)، و أبعاده المكانية، التي أوجزها "دلتاي" في ضرورة المعايشة، التي تعني عقل يفهم عقلا، حياة تفهم حياة، إنسان يعايش إنسانا في صميم داخليتهم، ويستبطنه.

٣ – عند " هنري برجسون[١]" الوعي هو الذاكرة، التي تحتفظ بكل معطيات الماضي، لتتراكم فتصبح جزءًا من الحاضر، ليستبق بها الوعي مشكلًا المستقبل، لأن الوعي يُشكل حلقة وصل ما بين الماضي و المستقبل، و هو أكثر من الخبرات الشخصية، فهو الحدس المباشر، الواضح، و الكامل، الذي يمتلكه الذهن خلال حالاته، و أفعاله.[xlvi]

إن الحدس الإبداعي (ليس التحليل الذي نستنتجه من المقدمات) ليس مجرد حالة فكرية؛ بل انفعال يغمره النشاط، و الحيوية، التي ترتبط بالتجربة الحية، و ليس بعالم الأنساق، و الأفكار، إنه سابق على الديمومة و مُحدد لها في نفس الوقت.[xlvii]

و يُقدم "برجسون" دليلًا على سبق الفهم على اللغة– وهو ما سبق و أيدناه– حيث يقول بلغة فوقية أخرى (يقصد مباشرة الوعي للفهم كحدس مباشر) تجعلنا على اتصال مباشر بذواتنا، و بالأشياء الخارجية، بعيدًا عن وساطة المفاهيم، و ألفاظ اللغة، التي تحجب عنا الرؤية الصافية و التفاصيل الدقيقة.

و هو في ذلك يتفق مع "أفلوطين" الذي رأى أن اللغة عاجزة عن التعبير عن ماهية الذات الإلهية، لكن العلامات التصويرية تنقل لنا (في عملية الفهم بالوعي) المعنى مباشرة، و دفعة واحدة، و ليس عبر ثنائية الدال و المدلول، فالصورة تنقل لنا الحياة بكل تفاصيلها، و بدون تجريد اللغة، لعالم الأشياء و حتى الحياة الداخلية، المفعمة بالحياة و الحركة.[xlviii]

---

[١] هو الفيلسوف الفرنسي " هنري برجسون–"Henri Bergson، حصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٢٧م، ولد بباريس ١٨٥٩م ، و توفي بها في الرابع من يناير ١٩٤١م.

"إن الكوجيتو الذي يؤمن به "برجسون" هو كوجيتو الوعي المتحرر، أي كوجيتو الديمومة الخالصة، و الزمان الحي، الذي لا يخضع لقوانين و إكراهات الزمان الفيزيقي، و بكلمة واحدة هو كوجيتو الحياة الذي يدوم و ينصرم، و ليس كوجيتو الفكر المنغلق على ذاته".[xlix]

إن " برجسون" هو الذي أدخل الحياة الروحية بكل زخمها إلى العالم، بالاعتماد على الحوار الجيد، و البناء مع معطيات العلم المعاصر، و بالاعتماد على التجربة الموضوعية، مميزًا بذلك بين زمان الوعي وزمان العلم، و من خلال الإدراك (الفهم) المباشر للأشياء الذي يجب أن يكون بديلًا جدًيا عن عملية (فهمها) عبر وساطة المفاهيم.[l]

هكذا يوضح فيلسوف الحياة "برجسون" الفرق بين طريقة فهم موضوعات العلم بواسطة المفاهيم، من خلال زمن العلم، و طريقة فهمنا للحياة، أو فهم الإنسان و موضوعاته، وذلك من خلال زمن الوعي؛ الذي يتسم بالحيوية ليواكب حيوية الحياة، و ينفتح بالديمومة، مستخدمًا الحدس المباشر لمعاينة مفاهيمه، أو صوره الذهنية، التي تتصف بالحيوية، تمامًا كالوعي الحيوي الذي يعيها.

٤ – "خوسيه أورتيجاإيجاست–Orteg YGasset Jose`"[٢] الذي ينتقد العلم المعاصر، لأنالعلم يُهمل الجانب الملموس من الواقع، ويقسم مشكلة الحياة إلى قسمين منفصلين: (الطبيعة، و النفس)، وإنه يفترض الثبات و الدوام في الأشياء، في حين أن الحياة هي ديناميكية مستمرة و تغير دائم؛و لهذا يقترح "أورتيجا" لفهم الحياة المنهج الحيوي الذي يستقرئ سير الحياة (منهج الفن).[li]

[٢]خوسيه أورتيجا (١٨٨٣ – ١٩٥٥م) فيلسوف وكاتب اسباني، ولد بمدينة مدريد، حصل على الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٠٤م من جامعة مدريد، وقد استهدف بمقالاته تغيير أنماط الفكر السائد في المجتمع الإسبانيـ من أجل إرساء قواعد التحرر. أسس مجلة "الغرب" التي استمرت في الصدور حتى العام ١٩٣٦م، إلى أن تسلم إدارتها أحد أبناء "أورتيجا"من جديد منذ العام ١٩٦١م.

وينتقد "أورتيجا" المعرفة الإنسانية لأنها تتأسس على وجهة النظر الفردية، الشخصية، وتعتبرها المصدر الأوحد للصدق والأصالة، فيرى ضرورة تكاتف جميع الجهود الفردية حتى نتمكن من الوصول إلى الحقيقة، ويحذر "أورتيجا" من الوثوق بوجهة النظر الفردية إلى درجة المطلق، لأن هذا مكمن الخطأ.[iii]

ويؤكد "أورتيجا" أن ملكة الفهم تستقبل من الواقع ما يتناسب مع ما لديها من أجهزة استقبال فطرية، ولا شك أنها بهذا تُهمل أجزاء من الواقع تتعدى نطاق إمكاناتها المعرفية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الواقع الكوني يُرى من خلال منظور معين، وهذا المنظور يتصف بالنسبية، ويختلف باختلاف الزمان والمكان.[iiii]

ويرى "أورتيجا" أن العالم يُدرك من زاوية مُعينة، وكل إنسان يُدرك العالم من زاويته الخاصة، ومنظوره الخاص، وكل منظور يتصف بالتفرد والصدق، والمنظور الوحيد الزائف هو الذي يدعى أنه الممكن الوحيد.

وقد دمج "أورتيجا" بين مذهب المنظور النسبي، و بين مفهوم الحياة كما يتصوره، ليُنتج نسيجا تتشابك فيه الذات والأشياء، فكل حياة إنما هي منظور ينصب على العالم.[iv]

هكذا يؤكد "أورتيجا" على ضرورة الدمج بين المنظور النسبي، ومفهوم الحياة، لكي نتمكن من تجاوز مفهوم و طريقة فهم المنظور الذاتي، إلى المنظور الحيوي الذي يتناسب مع حيوية الحياة لنمتلك الفهم الأفضل للعالم.

٥– "ادجار مورين –Edgr Morin"[٣]

[٣] فيلسوف فرنسي معاصر ولد بباريس عام ١٩٢١م، و درس بجامعتها على الاجتماع قبل تحوله للفلسفة في العقد السادس من القرن السابق خلال مشاركته بمقالات في مجلة "Arguments - مناظرات"، حيث شارك " ليفيفر- Lefe'ver"، و" شاتليه–Chatelet"، و"أكسيلوس - xelos "، و من أهم مؤلفاته " المنهج" عام١٩٧٧م.

يقول "مورين": " إن منهج الأفكار الواضحة، والمتميزة، الديكارتي هو مبدأ لتبسيط الواقع، وللفصل بين عناصره، ونحن بحاجة إلى منهج يأخذ في اعتباره جميع الأشياء الموجودة بداية من الذرة الميكروفيزيقية وحتى الأجرام السماوي، بداية من البكتيريا حتى نصل إلى الإنسان المعقد"[lv]

" ويلاحظ " مورين" أنه لم تعد هناك فكرة مركزية يخضع لها أي تفكير، وقد كانت الفكرة المركزية القديمة هي فكرة النظام، أما الآن فقد كشف "مورين" عن أن النظام وحده لا يكفي، فهو ثالث ثلاثة مفاهيم متضادة، ومتكاملة ومتنافسة، في نفس الوقت. وثلاثي المفاهيم هو (النظام، عدم النظام، البنية)"[lvi].

هكذا يُوجز "مورين" القول في طبيعة منهج تفكيرنا، أو طريقة فهمنا للطبيعة و الحياة الإنسانية، فيرفض منهج التخصيص (أو الفصل بين الأشياء، أو التبسيط)، ليبشر بضرورة استبدال هذا المنهج بمنهج جديد شمولي و حيوي، لنواكب التقدم العلمي و التطور التقني المعاصرين، إنه منهج يراعي أدق المخلوقات و لا يفقدها علاقتها بغيرها من موجودات الكون، و يشمل هذا المنهج بحث و فهم علاقات جميع الموجودات، من أصغرها لأضخمها، الجامد منها و الحيوي، كلٍ بحسب نظامه، أو عشوائيته، أو بنيته الخاصة، وعلاقته بالبنيات والأنساق الأخرى المحيطة.

الخاتمة:

أهم نتائج البحث.

١ – نأمل من بحثنا هذا أن يكون فتحًا جديدًا للبحث في ميدان الفهم كعملية محورية للمعرفة البشرية، في شتى مجالات المعرفة العلمية، والفلسفية، انطلاقًا من الكشف عن نسبية المفاهيم تبعًا للنسبية العامة (للفهم ، والإنسانية، والكونية)، لكي نتمكن من إعادة تقويم مجمل التراث البشرى، منفتحين بذلك على أفقٍ جديد يسمح بتجاوز تنوع الفهم النسبي (تبعًا للأسس

التي تم الكشف عنها)، فندمج التنوع في وحدة الفهم الجديدة، التي تسمح، وتضمن، وتقبل تعايش المتباينات، والمستجدات بعد نقدها، سعيًا للكشف عن الوصل،[lvii] بدلًا من الفصل المعرفي، وهذا ما سبق وأقرته نظريات النقد الأدبي لما بعد الحداثة، حين أقرت بقبول جميع المقاربات (النصية) على أنها لا تتناقض، بقدر ما تُثرى النص بالمعنى، وتتكامل معًا.

وهذا المعنى هو ما توصل إليه الباحث العراقي: حسن كريم ماجد الربيعي، في بحثه البحث المعرفي حيث يقرر أن " على الباحث في المفاهيم التاريخية والتراثية بيان أسس هذه المفاهيم وأصولها، ومن ثم تطور استعمالاتها على مر العصور، ليمكن له أن يكشف التحولات الطارئة على تلك المفاهيم التي بنيت عليها أصول العقائد، أو أصول القانون وقواعده، وأن متابعة أصل الانطلاق ثم التحول والقبول، أو الرفض، يكشف للباحث مراحل تطور تلك المفاهيم ". (حسن الربيعي: البحث المعرفي، ص ٣٤).

٢ – من المؤكد أن بحثًنا هذا لا يغطى شتى المشكلات، والموضوعات، والمجالات العلمية والمعرفية، ولكنه بالتأكيد قد فتح المجال لحل بعض مشكلات الفكر الفلسفي المعاصر (من حيث تقارب المفاهيم بين الاتجاهات،والفلسفات المختلفة، من خلال المنظور الحيوي)، لذا فمازال موضوع هذا البحث يحتاج العديد من المشاركات البحثية الجادة.

٣ – لقد أثبت لنا البحث، أن الفهم فلسفة؛ لأنه طريقة استقبال،وتفاعل،وانفعال، لإنتاج معنى، أو لتكوين فهم، من خلال نسج علاقات الألفاظ، فالفهم أسلوب حياة.

٤ – نستنتج من علاقة الفهم بالفكر واللغة، أن نفس نسبية الفهم تنعكس بالضرورة على أفكارنا، وكذلك على لغتنا، وهذا يفسر لنا مرونة وثراء اللفظ اللغوي في إشارته إلى العديد من المعاني المحتملة، خلال دخوله في علاقات متنوعة مع غيره من ألفاظ اللغة، لينتج في النهاية معاني متقاربة نسبيًا.

٥ – خلال البحث تم التوصل إلى حل لأزمة علاقة الفكر باللغة، و أيهما أسبق في الوجود. فمن تحليل الفهم كعملية معرفية، تم التوصل إلى دور الفهم كوسيط ضروري لأي معرفة (سواء معرفة يقينية كالرياضيات و الهندسة لاعتمادها على التحليل و الاستنتاج، أو معرفة استقرائية لموضوعات الطبيعة، أو تستدعي فهم الأمور الإنسانية) لأن الفهم هو العملية التي بها يتم إدراك المعنى، و صدوره، أو امتلاكه، ليظهر أمام العقل كصور ذهنية، لتُعبر عنها اللغة في صياغة لغوية مناسبة للفهم، و معبرة عن الأفكار التي هي الصور الذهنية.

٦ – تم إدراك الطبيعة النسبية للفهم التي تتناسب من نسبية الإنسان، و الطبيعة، و الكون، و التي تبعًا لها تأتي نسبية الأفكار، و المعاني، و اللغة.

٧ – لقد كشفت موضوعات البحث عن مدى تغلغل الفهم كعملية محورية، في شتى مناحي الحياة الإنسانية، بما يستوجب زيادة الاهتمام بالفهم كمحور أساسي للفكر الفلسفي المعاصر.

DOI : 10.12816/0053085

قائمة المصادر والمراجع

أولًا المصادر:

1- Art Berman , : “ From the New Criticism to Deconstruction “ (Urbana : U of Illinois P, 1988.

2- David Hume,: “An Enquiry Concerning Human Understanding”, L.A. Selby-Bigge, M.A., Late Fellow of University College, Oxford, Second Edition, 1902, (Of the different Species of Philosophy).

3- Emmanuel Kant,:” Critique de la raison pure ”, traduction, Alain Renaut, Flammarion, Paris, 2006.

4- Fourastie' J:"Les conditions de l' esprit scientifique". (Ed Gallimard. Paris.1976.

5-Hans – Georg Gadamar, : “ Truth and Method ” trans. Joel Weinshemer and Donald G. Marshall, 2nd, ed. (New York: Crossroad, 1989).

6-Jacques Derrida, :”De La grammatolgie “, Paris, Minuit, 1967.

7- Jacques Derrida": Interview ” qt. In Vincent Leitch, “ Deconstructive Criticism: An Advanced Introduction ” (London Hutchinson, 1983).

8- John Dewey:" Logis: The Theory of Inquiry", New York, 1938.

9-Ortega Y gasst:"Les Obras Completas", (Madrid, Ed. De La Revista de Occidente. 1962).

ثانيًا المراجع الأجنبية:

10- August Strendberg,: “ Preface to { Lady Julie } in Five Plays ”, Berkeley, 1981.

11- Barbara Rogoff ,: “ The Cultural Nature Of Human Development ”Oxford University Press, New York, 2003.

12- B.M. Eikhenbaum,: “ La Theorie de la “ Methode Formelle “,in Theorie de la Litteraure”, ed, and trans, Tzvetan Todorov,Parix, 1965.

13-Collingwood : “ The Idea of History ”, London, 1964.
14-Neil Mcinnes:"Ortega Y Gasset. Jose`" in Encyclopedia of Philosophy, London, 1967.
15-Ortega Y gasst:"Les Obras Completas", (Madrid, Ed. De La Revista de Occidente. 1962) III.
16-Samuel Coleridge, : “ Biographia Liteeraria “ in Daniael G. Hoffman and Samuel Hynes, English Literary Criticism : Romantic and Victorian (New York, 1963).

ثالثًا المراجع العربية:

١٧- جون ستروك " البنيوية وما بعدها من ليفى شتراوس إلى دريدا " ترجمة د/ محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، عدد (٢٠٦)، فبراير ١٩٩٦م.

١٨- جيل دولوز: "فلسفة كانط النقدية" تعريب اسامة الحاج، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، ١٩٩٧م.

١٩- حسن كريم ماجد الربيعي: "البحث المعرفي جدواه، مفاهيمه، مناهجه، تطبيقاته"، النجف الأشراف، جامعة الكوفة، كلية الفقه، قسم العقيدة و الفكر الإسلامي، بدون تاريخ.

٢٠- زكي نجيب محفوظ:" قصة عقل" دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م

٢١- عادل مصطفى:" فهم الفهم مدخل على الهرمنيوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر" هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٨.

٢٢- عبد الوهاب جعفر: "مبادئ الفلسفة وإشكالياتها" دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٩م.

٢٣- عبد العزيز حمودة: " المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية " سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (٢٣٢) أبريل ١٩٩٨م.

٢٤- عبد المحسن صالح: "الإنسان والنسبية والكون"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م.

٢٥- فرديناند دى سوسير: "علم اللغة العام" ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة الترجمة مالك يوسف المطلبى، بيت الموصل ، العراق ١٩٨٨م.

٢٦- فؤاد زكريا "آفاق الفلسفة"، الفصل الأول "الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية"، دار التنوير للنشر، والمركز الثقافي العربي للطباعة، بيروت ، طبعة أولي، ١٩٩٨.

٢٧- نبية قاره: "الفلسفة و التأويل" دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، طبعة أولى، ١٩٩٨م.

٢٨- هنري برجسون:"بحث في المعطيات المباشرة للوعي"، ترجمة الحسين الزاوي، مرجعة جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، طبعة أولى، ٢٠٠٩م.

٢٩- يوسف كرم: " تاريخ الفلسفة اليونانية" مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦.

رابعًا المعاجم و الدوريات:

٣٠- معجم لسان العرب، والمعجم الوسيط.

31- Dictionary Longman.

---

i معجم لسان العرب، والمعجم الوسيط.

[ii] Dictionary Longman.

[iii] David Hume,: "An Enquiry Concerning Human Understanding", L.A. Selby-Bigge, M.A., Late Fellow of University College, Oxford, Second Edition, 1902, (Of the different Species of Philosophy).

[iv] يوسف كرم: " تاريخ الفلسفة اليونانية" مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦ .

[v] Emmanuel Kant,:" Critique de la raison pure ", traduction, Alain Renaut, Flammarion, Paris, 2006, Dansl'introduction .

[vi]Ibid.

[vii]David Hume,: "An Enquiry Concerning Human Understanding", 1902.

[viii]David Hume,: "An Enquiry Concerning Human Understanding", pp 8-9.

[ix]Collingwood : " The Idea of History ", London, 1964, p- p (101 – 103).

[x]Barbara Rogoff ,: " The Cultural Nature Of Human Development "Oxford University Press, New York, 2003, pp, 10- 13, 18-19, 29 – 30.

[xi] فؤاد زكريا " آفاق الفلسفة " ، الفصل الأو ل " الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية" دار التنوير للنشر، والمركز الثقافي العربى للطباعة، بيروت ، طبعة أو لى ، ١٩٩٨.

[xii]August Strendberg,: " Preface to { Lady Julie } in Five Plays ", Berkeley, 1981,p 1.

[xiii]جونستروك " البنيويةومابعدهامنليفشتراوسإلىدريدا " ترجمةد / محمدعصفور،سلسلةعالمالمعرفة،عدد (٢٠٦) ،فبراير ١٩٩٦م، ص ٢٢٧.

[xiv]جيلدولوز: "فلسفة كانط النقدية" تعريب اسامة الحاج،المؤسسة الجامعة للدراسات والنشروالتوزيع،بيروت لبنان، ١٩٩٧م. ص ٢٦،٢٧، ٥٢.

[xv]Art Berman , : " From the New Criticism to Deconstruction " (Urbana : U of Illinois P, 1988) , p.123.

[xvi]ينبية قاره: "الفلسفة والتأويل" دارالطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،طبعة أولى، ١٩٩٨م،ص ٥٣.

[xvii] عبد العزيز حمودة: " المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية " سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (٢٣٢) أبريل ١٩٩٨م، ص (٣٤٢).

[xviii] عبد العزيز حمودة : " المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك " ، ص (٣٢٣) .

[xix] Hans – Georg Gadamar, : " Truth and Method " trans. Joel Weinshemer and Donald G. Marshall, 2nd, ed. (New York: Crossroad, 1989), PP. 302-303.

[xx] زكي نجيب محفوظ:" قصة عقل" دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ص ١٢٤.

[xxi] المرجع السابق" ص ٧.

[xxii] Jacques Derrida, :"De La grammatolgie ", Paris, Minuit, 1967, p 158.

[xxiii]August Strendberg,: " Preface to { Lady Julie } in Five Plays ",p 1-2.

[xxiv] Samuel Coleridge, : " BiographiaLiteeraria " in Daniael G. Hoffman and Samuel Hynes, English Literary Criticism : Romantic and Victorian (New York, 1963), p.67.

[xxv]B.M. Eikhenbaum, : " La Theorie de la " MethodeFormelle ",in Theorie de la Litteraure", ed, and trans, TzvetanTodorov,Parix, 1965,p 110.

[xxvi]عبدالعزيزحمودة : " المرايالمحدبة من البنيويةإ لى التفكيكية " سلسلةعالم المعرفة،العدد ٢٣٢،أبريل ١٩٩٨م،صص ٣٩١ – ٣٩٥.

[xxvii]John Dewey:" Logis: The Theory of Inquiry", New York, 1938, pp 83 – 85.

[xxviii] زكى نجب محمود:" قصة العقل"،ص ١٢٢.

xxixفرديناندسوسير: "علم اللغة العام" ترجمة يوئيل يوسف عزيز،مراجعة الترجمة مالك يوسف المطلبى،بيت الموصل،العراق ١٩٨٨مص (١٣٦) .

xxxعبدالعزيزحمودة : " المرايالمحدبةمنالبنيويةإلىالتفكيكية "،ص (٣٠٨) .

xxxi المرجع السابق: ص ١١.

[xxxii] عبد المحسن صالح: "الإنسان والنسبية والكون"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م، ص ص ١٠١ – ١٠٨.

[xxxiii]Fourastie' J:"Les conditions de l' esprit scientifique". (Ed Gallimard. Paris.1976), p 108. عن عبد الوهاب جعفر: " مبادئ الفلسفة و إشكالياتها" دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٩م، ص (٩١).

[xxxiv] فؤاد زكريا " آفاق الفلسفة " ، ص (٣١ ، ٣٢).

[xxxv]Jacques Derrida :"Interview " qt. In Vincent Leitch, " Deconstructive Criticism: An Advanced Introduction " (London Hutchinson, 1983)." p. 240.

[xxxvi] Emmanuel Kant,:" Critique de la raison pure ", tradition, Alain Renault, Flammarion, Paris, 2006, Dan's introduction .

[xxxvii] Hans – Georg Gadamar, : " Truth and Method " P. 306 .

[xxxviii] Hans – Georg Gadamar,"Truth and Method",p.304.

[xxxix] Ibid. P. 306.

[xl]D. Hume,:" An Enquiry Concerning Human Understanding"ed Selby-Bigge, not Dait,p25.

[xli]Ibid,p25-26.

[xlii] عادل مصطفى:" فهم الفهم مدخل غلى الهرمنيوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر" هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٨، ص ٦٨.

[xliii] المرجع السابق: ص ٦٩.

[xliv]المرجع السابق: ص ٨١، ٨٢.

[xlv]عادل مصطفي:" فهم الفهم"، ص ٨٤.

[xlvi] هنري برجسون:"بحث في المعطيات المباشرة للوعي"، ترجمة الحسين الزاوي، مرجعة جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، طبعة أولى، ٢٠٠٩م، ص ٩.

[xlvii] المرجع السابق: ص ١١.

[xlviii] المرجع السابق:ص ١٢.

[xlix]هنريبرجسون:"بحث في المعطيات المباشرة للوعي"،ص ٨.

[l] المرجع السابق: ص ١١.

[li]Ortega Ygasst:"Les ObrasCompletas", (Madrid, Ed. De La Revista de Occidente. 1962) 1, p483.

[lii]Ibid,p321.

[liii]Ortega Y gasst:"Les ObrasCompletas", (Madrid, Ed. De La Revista de Occidente. 1962) III, 199.

[liv]Neil Mcinnes:"Ortega Y Gasset. Jose`" in Encyclopedia of Philosophy, London, 1967.

[lv]NouvelObservaleur, No.653.p104,

عن عبد الوهاب جعفر: "مبادئ الفلسفة و إشكالياتها"

[lvi] عن عبد الوهاب جعفر: "مبادئ الفلسفة و إشكالياتها، ص ٥٩.